الحديث عن الحشرات فى القرآن الكريم

د / محمد محمد الطاهر

مدرس البلاغة فى الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ صدق الله العظيم .

وبعد :

إن القرآن الكريم هو الدستور السماوى ، ومنهج حياة ، ولقد عكف العلماء باحثين عن أسرار إعجازه ، ومع كثرة البحوث المتنوعة فإن عجائب الكتاب المعجز لا تنتهى ، فهو المعجزة الأزلية الأبدية ، نزل به الروح الأمين جبريل – عليه السلام – على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وصدق الله العظيم فى قوله :قَدْ ﴿ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

والقرآن العظيم لم يدع شيئاً فيه نفع للعباد إلا أرشدهم إليه ، فرسم لهم طريق النجاح فى الدنيا ، والنجاة والفوز فى الآخرة .

وفى هذا البحث أتناول حديث القرآن العظيم عن الحشرات ، محاولاً الكشف عما اشتملت عليه تلك الآيات التى تحدث فيها القرآن الكريم عن الحشرات من أسرار بلاغية تكمن فى التعبير عن ذلك بألفاظ وتراكيب يتشرف الباحث بالوقوف عندها لإظهار ما حوته من أسرار وعبر .

وتأتى هذه الدراسة فى محاولة للكشف عن جانب من أسرار الكتاب المعجز ، ولقد وجدت حديث القرآن العظيم عن الحشرات يأتى تارة بالإجمال وتارة بالتفصيل ، فقد تناول

(١) المائدة ١٥ ، ١٦ .

القرآن الكريم بعض الحشرات بصورة مجملة كالحديث عن " البعوض " مثلاً ، وتارة يأتى الحديث عن بعض الحشرات بشئ من التفصيل كما هو الحال فى الحديث عن " النحل " .

ولقد نظرت إلى كتاب الله تعالى فوجدت سورتين منه سميت بأسماء الحشرات هما سورتا " النحل والنمل " ، وكذلك وجدت القرآن العظيم يلفت النظر إلى بعض الحشرات ، ويضرب بها الأمثال كما هو الحال فى الحديث عن " الذباب " فى سورة " الحج " ، فكان ذلك دافعاً لى فى هذه الدراسة ، التى أسأل الله تعالى العون فيها .

المبحث الأول

البعوضة

فى حديثه عن الحشرات بصورة مجملة تجد القرآن العظيم فى سورة " البقرة " يتحدث عن حشرة " البعوض " . بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] .

الله سبحانه وحده خالق هذا الكون العجيب ، يتصرف فيه كيف يشاء ، ولا يعرف أسرار خلقه إلا هو ، حتى إن الإنسان لا يعرف الكثير عن نفسه ، فهو مخلوق ضعيف من مخلوقات الله تعالى ، والله سبحانه هو الخالق العظيم ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[2] ، فهو سبحانه يضرب المثل بما شاء حيث شاء . ولكن عندما ضرب الله سبحانه مثلاً بالبعوضة " استقبله الكفار بالمعنى الدنيوى دون أن يفطنوا للمعنى الحقيقى ... قالوا : كيف يضرب الله مثلاً بالبعوضة ذلك المخلوق الضعيف "[3] .

فهم نظروا إلى البعوضة نظرة دونية فوجدوا حجمها ضئيلاً ، وضعفها ظاهر والقضاء عليها من أسهل ما يكون .

ولكنهم " لم يفطنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم ،خلقها معجزة ، لأن فى هذا الحجم الدقيق وضع الله سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها فى حياتها ، فلها عينان ، ولها خرطوم دقيق جداً ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان ، ويخرق الأوعية الدموية التى تحت الجلد ليمتص دم الإنسان ، والبعوضة لها أرجل ولها أجنحة ولها دورة تناسلية ولها ما يلزم لحياتها ، كل هذا فى هذا الحجم الدقيق .. كما دق الشئ فإنه فى حاجة إلى دقة خلق أكبر "[4] .

---

[1] البقرة ٢٦ .

[2] السجدة ٧ .

[3] تفسير الشيخ الشعراوى – الجزء الأول ٢١٤ .

[4] تفسير الشيخ الشعراوى ١ / ٢١٤ .

كما أن هذه الحشرة التى زعموا أنها تافهة لا تستحق أن يضرب بها مثلاً ، تستطيع بقدرة خالقها أن تنقل العديد من الأمراض القاتلة التى يقف العلم حائراً أمامها .

" فمثلاً داء الفيل ينشأ من العدوى بديدان خيطية يعد البعوض ناقلاً لهذا النوع من الديدان ، كذلك الحمى الصفراء يسببها فيروس خاص ينقله البعوض ، كذلك حمى الدنج فإن الكائن الحى الذى يسببها غير معروف وينقل هذا الكائن الحى بعض أنواع البعوض "[1] .

ويعد البعوض من الحشرات الثاقبة لأن أجزاء من زوائد فمها تشبه الإبر تستعمل فى ثقب الجلد والوصول إلى الدم .

" ويعد طنين البعوضة من أبرز ما يميزها وهو يحدث من اهتزازات أجنحتها واقتراب أجزاء الصدر من بعضها ، وقبل وخز الجلد يبدأ لعاب البعوضة فى الانسياب ويقال إن هذا السائل يعمل على تهيج الجلد وتورمه بعد عملية الوخز فيعمل ذلك على توارد الدم حتى ترتوى البعوضة "[2] .

" ونجد أن أجزاء فم البعوض كاملة التكوين فى الأنثى فقط ، ولذلك فإن الأنثى هى التى لها عادة امتصاص الدم ... أما الذكر لا يتغذى على الدم بل يلعق سوائل النباتات حيث يجدها مثل رحيق الأزهار وعصير الفاكهة "[3] .

" وعادة يمتص البعوض الدم ليلاً ، وتعد البعوضة عاملاً مهما فى انتشار الملاريا وبإمكان البعوض أن يطير مسافة ثلاثة أو أربعة أميال من أماكن توالدها ، وذكر البعوض لا يعيش إلا مدة قصيرة تتراوح بين بضعة أيام فى المناطق الحارة إلى شهرين فى المناطق المعتدلة ، وأما الإناث فقد تعيش إلى ستة شهور . وبعض أصوات البعوض لا تسمعها أذن الإنسان لأن للأذن البشرية نطاقاً خاصاً فى السمع ، فهى تسمع الذبابات فى حدود خاصة ، فإذا انخفضت عن تلك الحدود لم تعد تؤثر فى الأذن"[4] .

كان لابد من ذكر بعض خواص البعوض ، تلك الحشرة التى استخف بها الكفار فضلوا عن الهدى ، أما المؤمن فقد استقبل هذا المثل بصدق وعرف أنه جاء لحكمة من الخالق سبحانه .

وفى هذه الآية الشريفة التى تحدثت عن البعوض تجد كثيراً من النقاط البلاغية التى يجب الوقوف عندها .

فنجد التوكيد فى بداية الآية ، وتجد ضرب المثل بالبعوضة ، فما فوقها ، كذلك تجد " أما" التفصيلية ، وتجد الاستفهام فى " ماذا أراد الله بهذا مثلاً " ؟ .

---

[1] ينظر أساسيات علم الحشرات ص ١١ .

[2] انظر الحشرات المنزلية ص ٢٣ .

[3] الحشرات المنزلية ص ٢٣ .

[4] ينظر الحشرات المنزلية ١٤٠ : ١٤٣ .

والآن أبدأ فى تحليل الآية فأقول وبالله التوفيق :

بدأت هذه الآية الشريفة بالحرف المؤكد " إن " وهو حرف يختص بالدخول على الجملة الأسمية ، فهى حرف ناسخ تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها ومجئ اسمها هنا علما وهو لفظ الجلالة لأنه جامع لجميع صفات الكمال .

" روى الواحدى فى أسباب النزول عن ابن عباس أن الله تعالى لما أنزل قوله : " إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ... " وقوله : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ... " عاب المشركون ذلك وقالوا : ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله : " إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة "[1] . فالمخلوقات كلها متساوية فى الضعف أمام خالقها سبحانه .

والمقام هنا مقام إنكار وتعجب منهم فاستدعى السياق تأكيد الكلام ، والفعل " يستحى " من الحياء ، فالسينَ والتاء فيه للمبالغة .

" والضرب فى قوله : " أن يضرب مثلاً " مستعمل مجازاً فى الوضع والجعل ، والمعنى : لا يستحى أن يشبه بشئ ما ، وتنكير " مثلاً " للتنويع بقرينة بيانه بقوله : " بعوضة فما فوقها "[2] .

و " ما " إبهامية اتصلت بالنكرة " بعوضة " وهى مزيدة للتأكيد وأفادت مع النكرة التنويع .

وموقع " بعوضة " أنها بدل أو بيان من " مثلاً " ، وقد جعلت هنا مثلاً لشدة الضعف والحقارة.

وقوله : " فوقها " فوق ظرف والمعنى هنا فما جاوزها والواضح هنا أن المعنى : أى ما جاوزها فى الحقارة أو الكبر .

والفاء عاطفة " وهى مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذى هو اتصال خاص ، فاستعملت فى مطلق الاتصال "[1] .

" هذا بعض ما ورد فى أسباب النزول ، ومجملها أن أهل الضلال من المنافقين واليهود والمشركين أوردوا شبهة تتعلق ببعض الأمثال القرآنية كالأمثال التى ضرب الله فيها مثلاً بالذباب أو العنكبوت أو النمل أو النحل ونحو ذلك فقالوا : لا يليق ذكر مثل هذه المحقرات فى كلام البلغاء وكان غرضهم اتخاذ ذلك حجة للطعن بصحة نسبة القرآن إلى الله تعالى .

وقد رد الله عز وجل هذه الشبهة ونزلت الآية الكريمة تدحض باطلهم وتبطل مطاعنهم ، وقد أخبر الله عز وجل أنه لا يستحى أى لا يستنكف ، وقيل : لا يخشى أن يضرب مثلا ما ، أى : أى مثل كان ، بأى شئ كان صغيرا كان أو كبيرا سواء كان هذا المثل بعوضة أو شيئا آخر

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ١ / ٣٥٨ .

[2] التحرير والتنوير ١ / ٣٦١ ، ٣٦٢ .

[1] التحرير والتنوير ١ / ٣٦١ .

فوق البعوضة لأن الله عز وجل يقول الحق ، والله لا يستحى من الحق ، و " ما " فى الآية للتقليل "[1] .

فالله سبحانه وتعالى قد خلق المخلوقات جميعا ، صغيرها وكبيرها ، أعظمها وأحقرها ، وكل كائن من هذه المخلوقات يحمل دلالة على كمال قدرته سبحانه ، وعظيم سلطانه ، وفى ذكر هذه المخلوقات لفت للأنظار إلى ما تحويه تلك المخلوقات من أدلة على الوحدانية ، وشاهدة على خالقها سبحانه .

كما أن هذه المخلوقات – وإن ظهرت حقيرة للناس – تحمل آيات وعجائب وغرائب بما يشهد على كمال علمه سبحانه وعظم تدبيره .

وفى العصر الحديث كشف البحث العلمى خصائص هذه المخلوقات ولا يزال العلماء يعرفون المزيد عنها ، ففى الأمثال القرآنية عظة وعبرة وهداية وشاهد على الخالق سبحانه .

قوله تعالى : " فأما الذين " تعد أما من عناصر التوكيد فى النظم القرآنى ، وهى بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها حرف شرط فبدليل لزوم الفاء بعدها ، وهذه الفاء الواقعة بعدها يطلق عليها فاء الجزاء "[2] .

وجاءت أما هنا لتفصل موقف الفريقين ، فأما الذين آمنوا وهم الفريق الأول فيعلمون أن هذا حق من الله تعالى ، وأما الفريق الثانى وهم الذين كفروا فينكرون ذلك مستبعدين كونه من عند الله تعالى ، والضمير فى " أنه " يعود إلى المثل ، و " من ربهم " حال من الحق والمعنى أن إيمانهم راسخ متمكن .

ونأتى إلى الاستفهام : " ماذا أراد الله بهذا مثلاً " ؟ هذا الاستفهام إنكارى وهو يحكى موقف الفريق المنكر " الكفار " من ضرب المثل ، والاستفهام الإنكارى لا يجاب عليه لأنه غير مقصود به الاستعلاء ، فهو من قبيل الكناية .

واسم الإشارة " بهذا " المراد به التحقير حيث المقام والسياق يدل على ذلك . " ومثلاً " منصوب على التمييز .

وإسناد الفعل " يضل " إلى الله تعالى لأنه خالق أسبابه ، وهو زيادة إيضاح للفريقين وهما الذين آمنوا والذين كفروا ، فالذين كفروا هم الضالون ، والذين آمنوا هم المهتدون .

وأخيراً يأتى أسلوب القصر " وما يضل به إلا الفاسقين " وطريقه النفى والاستثناء " وهو قصر حقيقى ادعائى إن كان محمل الفاسقين على اليهود ،ويجوز كونه قصرا إضافيا إن كان محمل الفاسقين على ما يشل المشركين واليهود الذين طعنوا فى ضرب المثل ، ليحصل تمييز المراد من المفضل والمهتدى[3] .

---

[1] أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم ٤٠ .

[2] من أسرار التوكيد فى نظم القرآن الكريم ٢٦٨ .

[3] ينظر التحرير والتنوير ١ / ٣٦٧ .

فقد اجتمعت فى الآية عدة توكيدات لتظهر أن الله عز وجل خالق الكون له سبحانه أن يضرب الأمثال بجميع الأشياء صغيرها وكبيرها ، حقيرها وعظيمها ، وأظهرت الآيات موقف المؤمنين وموقف المعاندين .

وهكذا تجد أن ذكر حشرة " البعوضة " فى القرآن الكريم فى هذه الآية الشريفة جاءت فى سياق مطلق التصرف فى الكون لخالقه جل جلاله ، حيث أنكر المشركون المعاندون ضرب المثل بالبعوضة تلك الحشرة التى نظروا إليها نظرة دونية تحقيرا من شأنها وإذلالا لقدرها ، فرد الله سبحانه عليهم أنها مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وله مطلق التصرف فى خلقه .

ورغم أنه فى مقياس البشر كلما صغرت الصنعة احتاجت من البشر لحنكة وقدرة أكبر – رغم ذلك – ورغم أن لتلك الحشرة التى يظهر ضعفها وضآلة حجمها – لها ما لها من الصفات العديدة التى سبقت الإشارة إليها ، وأظهره العلم الحديث – رغم كل ذلك إلا أن الكفار بعنادهم أنكروا ذلك وهذا هو دأبهم وتلك سيرتهم .

المبحث الثانى
الجراد والقمل

وفى سياق حديث القرآن العظيم عن الحشرات بصور مجملة تجد قوله تعالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[1] .

هذه الآية الشريفة لها ارتباط وثيق بما قبلها ، حيث إن ما ذكر قبلها يظهر غرور وعناد آل فرعون وعدم تذكرهم لربهم رغم نزول المصائب عليهم ، وبالغوا فى نفى الإيمان عن أنفسهم مهما جاءتهم من عظات وعبر وآيات .

" والفاء فى قوله فأرسلنا " لتفريع إصابتهم بهذه المصائب على عتوهم وعنادهم ، وهو تارة يتعدى إلى المفعول الثانى بـ " إلى " وتارة بـ " على " كما هو الحال هنا وذلك إذا ضمن معنى الإرسال من فوق "[2] .

وقد ذكرت حشرة " الجراد " لتكون من المصائب التى نزلت على آل فرعون لتكذيبهم وعنادهم.

إذاً سياق ذكر هذه الحشرة لضررها ، وهى حشرة مهلكة للزرع والشجر ، وتسبب القحط ، ولذلك فإن خطرها شديد ، وتعد مصيبة عظيمة لتأثيرها المباشر والفورى على غذاء الإنسان .

ويعد الجراد الصحراوى أهم أنواع الجراد ، وهو نوع يعد مهاجرا يتسبب فى أضرار بالغة تهاجم النباتات والمزروعات ، وللجراد الصحراوى قدرة كبيرة على الطيران والهجرة إلى أماكن بعيدة حيث يهاجم المزروعات وكل نبات أخضر فى صورة غارات وبائية فيتركها أعواداً جافة خالية من الأوراق والثمار ، وقد كانت غارات الجراد من قديم الزمان حدثاً يخشاه الزراع ويخافون أضراره.

ويلحظ أن الجراد ينتشر فى بلدان يرسله الله تعالى إليها من فترة لأخرى ليرى الإنسان أضراره بصورة ملموسة مشاهدة حتى نعرف مدى تأثيره .

" وهذا دليل على صدق الأشياء التى حكى الله عنها ، فلو لم يوجد جراد ولا طوفان لكنا عرضة ألا نصدق "[3] .

---

[1] الأعراف ١٣٣ .

[2] التحرير والتنوير ٩ / ٩٦ .

[3] ينظر الشيخ الشعراوى ٧ / ٤٣٢١ .

و " القمل " وهو غير القمل وهو اسم نوع من القراد عظيم يسمى " الحمنان " وهو يمتص دم الإنسان ، أصاب القبط جنداً كثيراً منه عسر الاحتراز عنه ، ولعله أصاب مواشيهم "[٢] .

وفى تفسير الشيخ الشعراوى يقول " القمل " : قيل هو السوس الذى يصيب الحبوب ، ومفردها قملة ، وقيل هو ما نسميه بالقراد وقيل هو الحشرات التى تهلك النبات والحرث ، وحين نراه نفزع ونبحث عن تخليص الزرع منه باليد والمبيدات ، وكل ذلك من تنبيهات الحق للخلق "[٣] .

وقد جاء الحديث عن هذه الحشرة أيضا فى سياق تعديد المصائب التى أرسلها الله تعالى على آل فرعون ردعا وزجرا لهم .

وقوله تعالى " مفصلات " أى لم تكن مجتمعة مع بعضها دفعة واحدة ، بل كل واحدة منفصلة عن الأخرى ، فهى بمثابة إنذارات متتابعة للردع .

وسميت هذه الأشياء " آيات " لأنها دلائل على قدرة الله تعالى وعجيب تصرفه فى خلقه ، وأيضا فهى دلائل على صدق موسى عليه السلام .

" وانتصب " آيات " على الحال من الطوفان وما عطف عليه ، و " مفصلات " اسم مفعول من فصل المضعف الدال على قوة الفصل ، و "مفصلات " وصف لآيات ، فيكون المراد منه معنى الفصل المجازى وهو إزالة اللبس "[١] .

ويجئ قوله تعالى : فاستكبروا ... " وهو تذييل يوضح موقفهم من تلك الآيات ، فالفاء هنا للتفريع ، أى ترتب على مجئ هذه الآيات إليهم استكبار وعناد ، والسين والتاء فى " استكبروا" لإظهار شدة التكبر .

وعطف على ذلك جملة " وكانوا قوما مجرمين " وجئ بخبر كان جملة اسمية لإفادة الثبوت والدوام فالإجرام صفة ملازمة لهم ووصف لا ينفك عنهم .

وهكذا يأتى الحديث عن هذه الحشرات هنا فى سياق إظهار ضررها وخطرها على الإنسان حتى جعلت جنداً من جنود الله تعالى يعذب بها من يشاء ، فسبحان من بيده الملك ، وله مطلق التصرف .

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ٩ / ٦٩ .

[٢] التحرير والتنوير ٩ / ٧٠ .

[٣] التحرير والتنوير ٩ / ٧٠ .

المبحث الثالث

النحل

يعد النحل من الحشرات النافعة التى سخرها الله تعالى للإنسان ، " فإن الإنسان قد استأنس نحلة العسل للحصول على كل من العسل والشمع ، ومن الطريف أن نحلة العسل تزور الأزهار من ٤٠,٠٠٠ إلى ٨٠,٠٠٠ مرة لكى تجمع رحيقا منها يكفى لعمل رطل واحد من العسل ، وفى كل مرة تقطع ما يقارب من ميل ، وبالإضافة إلى العسل فإن النحل يفرز شمعاً يستعمل فى بناء العيون السداسية وفى أغراض تجارية ، وتنتج الشغالة فى العادة رطلاً من الشمع بعد ابتلاع كمية من العسل تتراوح بين ثلاثة إلى عشرين رطلا "[١] .

وللنحل تصرفات عجيبة ونظام دقيق يلحظه الناس سواء فى بيوتها التى تسكن فيها أو فى نظام حياتها ومأكلها ومشربها ... إلخ .

" ألا ترى حذاقة النحل فى صنعتها وبنائها البيوت " المسدسة " من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض ، فإنها لو كانت مربعة بقيت فيها فرج ضائعة عند دخولها فيها ، ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التى بين البيوت ضائعة ، والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل هذه البيوت إلا بالآلات "[٢] .

نعم : إنها قدرة عجيبة ، وتدبير محكم يدلل بما لا يدع مجالاً للشك على أن لهذا الكون إلهاً قادراً مهيمناً .

" وفى نحل العسل نجد الملكة تعيش من ثلاث إلى سبع سنوات ، فى حين يتوقف عمر الشغالات على المجهود الذى تبذله ، وبذلك يكون طول عمرها حوالى ستة أسابيع فى فصلى الربيع والصيف لأن هذه الفترة هى موسم النشاط ، ويصل عمرها إلى أربعة أشهر فى فصلى الخريف والشتاء لقلة ما تقوم به من مجهود "[٣] .

" نعم فإن النحل يصدر منها أفعال ويوجد فيها أحوال يتخيل بها أنها ذوات عقول وصاحبة فضل تقصر عنه الفحول ، فتراها يكون بينها واحد كالرئيس هو أعظمها جثة يكون نافذ الحكم على سائرها ، والكل يخدمونه ويحملون عنه ، يسمى " اليعسوب والأمير " وذكروا أنها نفرت عن وكرها ذهبت بجمعيتها إلى موضع آخر ، فإذا أرادوا عودها إلى وكرها ضربوا لها الطبول وآلات الموسيقى ، ورودوها بواسطة هذه الألحان إلى وكرها "[٤] .

---

[١] مقدمة فى علم الحشرات ٢ .

[٢] حاشية شيخ زادة ٣ / ١٨٧ .

[٣] محاضرات فى أساسيات الحشرات ٩٤ .

[٤] روح المعانى ١٧ / ١٨١ ، ١٨٢ .

وبعد :

فإن النحل حشرة نافعة صغيرة " تعيش فى جماعات تضم آلاف من الأفراد فى مستعمرات تعرف بالخلايا ويتميز جسمها إلى رأس وصدر وبطن ويحمل الرأس زوجا من العيون المركبة وثلاثة عيون بسيطة وقرنى استشعار وفم قارض لاعق ، وهناك ثلاثة أنواع من الأفراد هى الشغالة والذكور والملكة ، والنحل يبيض فى العيون الشمعية ، حيث تضع الملكة بيضها فيه ، ويفقس البيض بعد ثلاثة أيام "[1] .

وقد ذكر القرآن العظيم بعض ملامح حياة هذه الحشرة النافعة فى سورة سميت بهذا الاسم " سورة النحل " ، وفى هذا ما فيه من دلالة على أهمية هذه الحشرة وإظهار فوائدها للإنسان ، وتقع هذه السورة التى ذكر فيها النحل " السادسة عشرة " فى الترتيب المصحفى وهى سورة مكية ، تحدث القرآن العظيم فى آيتين فيها عن النحل .

والآن أبدأ فى تحليل حديث القرآن الكريم عن النحل فأقول وبالله التوفيق:

قال الله تعالى " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون "[2] .

قوله تعالى : " وأوحى " الإيحاء إلى النحل إلهاماً ، والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه "[3] .

والمتأمل فى أحوال النحل من مأكلها ومسكنها وحياتها والنظام الذى يتخذه النحل يعلم أن الله عز وجل قد هدى هذا المخلوق الضعيف بقدرته ، وأودع فيه كل ذلك بحكمته .

" والنحل : اسم جنسى يفرق بينه وبين واحدة بالتاء ، ويطلق على الذكر والأنثى ، وسمى بذلك لأن الله تعالى نحله أى منحه العسل الذى يخرج منه "[4] .

" وأوحى ربك إلى النحل " أوحى فعل وفاعله ربك والكاف ضمير مضاف إليه وإلى النحل جار ومجرور متعلقان بأوحى .

" أن اتخذى " أن هى المفسرة لأن فى الإيحاء معنى القول دون حروفه ولبك أن تجعلها مصدرية ، وهى مع مدخولها نصب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأوحينا أى : بأن اتخذى"[5] .

---

[1] ينظر علم الأحياء ٢٨٠ : ٢٨٤ .

[2] النحل ٦٨ ، ٦٩ .

[3] الكشاف ٣ / ١٥٥ .

[4] التفسير الوسيط ٨ / ١٢٧ .

[5] إعراب القرآن وبيانه ٦ / ٣٣١ .

يقول الزمخشرى – رحمه الله – : " فإن قلت ما معنى " من " فى قوله " أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " ، وهلا قيل : فى الجبال وفى الشجر ، قلت : أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان فيها "[1] .

فالنحل يتخذ من الجبال وكراً له ، وكذلك يتخذ مأوى له فى الشجر ، وفى ما يعرشه البشر كالسقف ونحوه ، والله عز وجل قد ذلل للنحل العيش فى كل ذلك .

" والبيت هنا مستعار لمحل النحل تشبيهاً له بما يبنيه الإنسان ويبيت فيه من الأبنية فى اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ... ولعل النكتة فى سلوك الاستعارة : التنبيه على ما فى محل العسل من الصنائع العجيبة "[2] .

فالآية الشريفة توضح أن أول الإيحاء إلى النحل كان فى مسكنها ، وحيث إنه إيحاء من الخالق جل جلاله فلا عجب أن ترى فيه رونقا ونظاما وترتيبا ربما يعجز عنه البشر .

قوله : " أن اتخذى " ظاهره أمر ، وقد اختلفوا فيه ، فمن الناس من يقول : لا يبعد أن يكون لها عقول ، ولا يبعد أن يتوجه إليها من الله تعالى أمر ونهى ، وقال آخرون : ليس الأمر كذلك ، بل المراد منه أنه تعالى خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الأحوال "[3] .

قولهَ تعالى : " ثم كلى من كل الثمرات " " ثم حرف عطف للترتيب والتراخى ، و" كلى " فعل أمر مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، ومن كل الثمرات متعلقان بكلى .

" فلم يترك لها الحرية فى بناء البيوت ولم يكل الأمر إلى شهواتها كما وكله إليها فى قوله : " ثم كلى من كل الثمرات " وإنما خولف ذلك وحجر عليها فى المسكن ولم يحجر عليها فى المأكل لأن مصلحة الأكل حاصة على الإطلاق لاستمرار مشتهاها منه ، وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها فى كل موضع ، ولهذا المعنى بالذات دخلت ثم لتفاوت الأمر وتباعده بين الحجر عليها فى اتخاذ البيوت والإطلاق لها فى تناول الثمرات "[4] .

ولهذا تجد لون العسل وطعمه مختلفاً حسب اختلاف الثمرة التى يتغذى عليها النحل " والأمر هنا للتخلية والإباحة ." ومن " للتبعيض ، وروى عن على – كرم الله وجهه – فى تحقير الدنيا : أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة ، وأشرف شرابه رجيع نحل "[5] .

ويلحظ الطباق فى الحروف بين قوله تعالى : " أن اتخذى من الجبال ... " ، وقوله تعالى : " من كل الثمرات ، " حيث " من " الأولى " للتبعيض ، " ومن " الثانية للاستغراق العرفى .

---

[1] الكشاف ٣ / ١٥٥ .

[2] حاشية شيخ زادة ٤ / ١٨٧ .

[3] الفخر الرازى ١٠ / ٧٣ .

[4] إعراب القرآن وبيانه ٥ / ٣٣٣ .

[5] روح المعانى ١٧ / ١٨٣ .

وقوله : " ثم كلى من كل الثمرات " هو لون آخر من الإلهامات التى أودعها الله عز وجل فى النحل .

قوله تعالى : " فاسلكى سبل ربك ذللاً " السبل : هى المسالك التى ذللها الله تعالى للنحل " والفعل اسلكى متعد من سلكت الخيط فى الإبرة لا لازم من سلك فى الطريق سلوكا ، ومفعوله محذوف أى فاسلكى ما أكلت فى مسالكه التى يتحول فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ، وفى إضافة السبل إلى الرب المضاف إلى ضميرها إشارة إلى أنه سبحانه هو المهيئ لذلك والميسر له والقائم بمصالحها ومعايشها "[٣] .

ذللاً : جمع ذلول ، وهى حال من السبل أى تلك السبل مهيأة ميسرة ذليلة لا يضل فيها النحل ، ويجوز كونه حال من الضمير فى " فاسلكى " ويصير المعنى : أى وأنت ذليلة منقادة لأمر ربك ، وواضح أن قوله " سبل ربك " مجاز عن مسالك الغذاء ، أو أن المراد سبل عمل العسل .

والجمع فى " ذللاً " على اعتبار أن المخاطب هو جنس النحل . وعطف جملة " فاسلكى " بفاء التفريع لإظهار التنقل من مكان إلى مكان وهى من طبائع النحل فهى تنتقل من روضة إلى روضة ثم بعد ذلك تفرغ ما أكلته عسلاً بقدرة الله تعالى .

قوله تعالى : " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه " : فى ذلك التفات من الخطاب إلى الغيبية ، وفى ذلك تنشيط للسامع ، وإيقاظ له ، وتنبيه على أن كل ما سبق من إظهار لطبيعة النحل فى الحياة تأتى فائدتها وهى العسل المعبر عنه بالشراب لأنه يشرب .

وقوله : " مختلف ألوانه " صفة لشراب ، وأنت تنظر إلى العسل فتجد منه الأبيض والأسود وغيره ، وذلك طبقاً لغذاء النحل ، أو لاختلاف فصول السنة ، أو لاختلاف سن النحل .

وانظر إلى التعبير القرآنى : " مختلف ألوانه " تجد أن فى اختلاف لون العسل عبرة وآية من الآيات الدالة على قدرته سبحانه .

قوله تعالى : " فيه شفاء للناس " : عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : الشفاء فى ثلاث : فى شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنهى أمتى عن الكى "[١] .

نعم : فإن من فوائد النحل : العسل ، ومن أهم فوائد العسل أنه شفاء من بعض الأمراض.

وقيل : " إن ذلك وصف للقرآن فهو شفاء لما فى الصدور ، وعن ابن مسعود أن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور "[٢] .

وضعف هذا الرأى والصحيح أن قوله " فيه شفاء للناس " صفة للشراب أى العسل .

---

[١] ينظر روح المعانى ١٧ / ١٨٣ ، ١٨٤ .

[٢] التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ٣ / ٢٠٠ – ٢٠١ .

[٣] ينظر الفخر الرازى ١٠ / ٧٥ .

" فعن أبى سعيد – رضى الله عنه – أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : أخى يشتكى بطنه ، وفى لفظ : استطلق بطنه فقال : اسقه عسلاً ، ثم أتاه الثانية فقال : اسقه عسلاً ، ثم أتاه الثالثة فقال : قد فعلت فلم يزده إلا استطلاقاً فقال : صدق القرآن وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً ، فسقاه فبرأ "[1] ، ومن صفات العسل أنه لا يفسد بطول الزمن .

" والتنوين فى " شفاء " إما للتعظيم أى شفاء أى شفاء ، وإما للتبعيض أى فيه بعض الشفاء فلا يتقضى أن كل شفاء به ، ولا أن كل أحد يستشفى به "[2] .

" وجعل الشفاء مظروفاً فى العسل على وجه الظرفية المجازية ، وهى الملابسة للدلالة على تمكين ملابسة الشفاء إياه ، وتنكير شفاء فى سياق الإثبات لا تقتضى العموم ، فلا تقتضى أنه شفاء من كل داء ، كما أن مفاد " فى من الظرفية المجازية لا تقتضى عموم الأحوال ، وعموم التعريف فى قوله تعالى : " للناس " لا تقتضى العموم الشمولى لكل فرد ، بل لفظ الناس عموم بدلى "[3] .

قوله تعالى : " إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون " : هذه هى ختام الآية ، وتذييل لما ورد بشأن النحل من عظات ومنافع .

حقاً : إن فى كل ما سبق من خروج هذا العسل الذى يستشفى به ، من تلك الحشرة الصغيرة ، التى ألهمها الله تعالى حسن التصرف فى مأكلها ومسكنها ورزقها النظام فى أسلوب حياتها كل ذلك مما علمه الإنسان وما لم يعلمه فيه آية عظيمة لمن تفكر فى هذا الأمر وتدبره .

ولذلك كله عبر بالفعل " يتفكرون " لأن إظهار هذه الآية وكونها نعمة وفضلاً من الله تعالى ، بجانب كونها آية دالة على كمال القدرة الإلهية ، كل هذا يحتاج إلى إعمال الفكر والتأمل .

وانظر إلى التوكيد بإن ، وكذلك التعبير باسم الإشارة للبعيد " ذلك " لما فيه من بعد المكانة والمنزلة ، وتنكير آية للتعظيم والتعبير بالمضارع " يتفكرون " لأن المراد هو دوام الفكر والتبصر والبحث الدقيق فى كل ذلك . انظر إلى ذلك كله تجد فيه ما فيه من إظهار عظمة هذه الآية وما تدل عليه .

---

(1) ينظر التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ٣ / ٢٠٠١ .
(2) روح المعانى ١٧ / ١٨٥ .
(3) التحرير والتنوير .

المبحث الرابع

الذباب

يعد الذباب من الحشرات الضارة للإنسان ، ومن المعروف كراهيته لدى البشر ، فبجانب أضراره الصحية الجسيمة ، فهو يسبب ضيقاً لا يطاق حتى اشتهر بين الناس منذ القدم محاربتهم له بطرق عديدة للتخلص من أضراره الصحية ، وتأثيره السلبى على الناحية النفسية حيث تشمئز منه النفس وتكره رؤيته العين ، ويضيق صدر الإنسان منه لأن الذباب يلوث الطعام والشراب .

" ويعد الذباب من ذوات الأكل المتنوع ، فهى تصاحب الإنسان فى مسكنه ، فلقد اقتفت هذه الحشرة الخطرة أثر الإنسان فى جميع بقاع العالم حيث يعيش ، وتحولت إلى خطر يهدد صحته "[1].

ونظراً لأن الذباب يتغذى على الأشياء الملوثة بالجراثيم ، فإنه إذا ما حط على طعام أو شراب لوثه فإذا ما تغذى منه الإنسان تنتشر الميكروبات المسببة للأمراض مل " الكوليرا " والدوسنتاريا وغيرها".

" ويعتبر الذباب من أكثر الحشرات انتشاراً فى معظم جهات العالم ، وقد كان ولا يزال يكون أهم المشكلات الحشرية بالنسبة للإنسان ، فهو فوق ما يسببه من مضايقات سواء خارج مسكنه أو داخله أثناء عمله أو راحته فإنه ينقل إليه كثيراً من الأمراض الخطيرة مثل مرض النوم الأفريقى ، والتيفود والكوليرا والدوسنتاريا العضوية "[2] .

وكذلك فإن الذباب نظراً لصعوبة مكافحته والقضاء عليه نهائياً ، ونظراً لسرعة تكاثره وانتشاره ، وكثرة نقله للأمراض كان ولا يزال من أخطر الحشرات ضرراً وفتكاً بصحة البشر .

" تعيش الذبابة الكاملة حوالى ٣٠ يوماً صيفاً وأطول من ذلك شتاء ومن ذلك نجد أن المدة التى تعيشها الذبابة الكاملة تتوقف إلى حد كبير على العوامل الجوية ، وفى العادة لا تطير الذبابة المترلية لمسافات طويلة ، ويخلد الذباب للراحة أثناء الليل ، وبجانب نقله لكثير من الأمراض التى تصيب الإنسان مثل الطاعون الرملى وحمى التيفود والجمرة الخبيثة والجذام ، فإنه يصيب الحيوانات النافعة أيضاً بأمراض خطيرة مثل سرطان المستنقعات فى الخيول والشلل فى الأبقار والتدويد فى الأبقار أيضاً "[3] .

كانت هذه مقدمة لابد منها لمعرفة خطر الذباب ، ومعروف أنه يضرب به المثل فى الحقارة والتفاهة ، حيث لا فائدة له – تعرف حتى الآن – على الإطلاق .

---

[1] ينظر الحشرات المترلية ٢٢ .

[2] ينظر الحشرات المترلية ١٧٣ .

[3] ينظر الحشرات المترلية ١٨١ : ١٨٥ .

وفى سياق حديثه عن الذباب ، يسوق القرآن العظيم المثل بالذباب ، من حيث حقارته وعدم فائدته ، ورغم ذلك لا يستطيع البشر خلق هذه الحشرة الدنيئة الحقيرة ، فما بالنا بما هو أجل منها وأعظم.

يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[٢].

إذا نظرت إلى القرآن العظيم تجد أن نداء الناس ورد فيه إحدى وعشرين مرة ، واشتمل نداؤهم على قضايا عامة مثل الإيمان ، والخوف من الله ، ورسم الطريق السليم فى الحياة .

وهذه الآية الشريفة تقع ضمن نداء " الناس " ويندرج تحت هذا النداء المؤمن والكافر وهذا إعادة نداء الناس فى القرآن العظيم ، ولكن فى هذه الآية السياق يدل على أن المراد بهذا النداء هم الكفار بدليل قوله تعالى : " إن الذين تدعون من دون الله " ، فدل ذلك على تخصيص النداء بالكفار .

" والمثل فى الآية الشريفة يتضمنه الكلام والذى يدل على ذلك قوله : " ضعف الطالب والمطلوب " ، وهذا القول بمثابة وجه الشبه حيث شبهت حالهم فى الضعف والعجز وعدم القدرة على الخلق والإيجاد بأحقر وأضعف مخلوق كما فى معتقدهم ، ولذلك عندما نزلت هذه الآية قالوا : أو ما يستحى رب محمد أن يضرب المثل بالذباب فنزل قوله : " إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ... "[١] .

فالآية الشريفة جاءت لإظهار قدرة الله تعالى ، وأنه سبحانه وحده الذى يستحق العبادة ، وأن ما عداه موسوم بالعجز وعدم القدرة على الإيجاد والخلق ، حتى فى أتفه الأشياء وأحقرها .

" الأمثال من أفضل السبل للتربية ، وتقويم المسالك ، وإصلاح النفوس ، وصقل الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وتنمية الفضائل السامية ، إن الأمثال فى القرآن الكريم تنير الطريق أمام عقل الإنسان ، وتصحح نظرته نحو الكون والحياة وتبصره وتهديه وتشوق الإنسان إلى معالى الأمور وتنمى فى القلوب المخلصة حب الحق وكراهية الباطل وتبعث فى النفوس الرغبة فى الخير واجتناب الشر ، والأمثال فى القرآن الكريم تقرب المعانى بما يعرفه الناس ، ويرونه بعيونهم ويحسونه بأنفسهم وتمكنهم من إدراك ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة ليعقلوه ويفهموه "[٢] .

---

[١] الحج ٧٣ .

[٢] ينظر من أسرار النداء فى القرآن الكريم ١٤٧ .

[٣] أمثال ونماذج بشرية فى القرآن العظيم ص ٥ .

قوله تعالى : " يا أيها " يعد حرف النداء " يا " لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، وفى هذه الآية الشريفة لبعد المنادى عن الحق حيث عبدوا غير الله تعالى ، وتركوا من يستحق العبادة وهو الخلاق العظيم ، لذا ناسب نداءهم بحرف النداء المخصص للبعيد .

قوله تعالى : " ضرب مثل فاستمعوا له " : " الظاهر أن ضارب المثل هو الله تعالى ، ضرب مثلاً لما يعبد من دونه ، أى يبين شبها لكم ولمعبودكم ، وتدعون بتاء الخطاب لكفار مكة ، والضمير العائد على الذين محذوف تقديره تدعوهم آلهة "[1] .

هذا وإن كان الخطاب كما يقول – الفيروزابادى " خاصاً بكفار مكة ، فلا مانع من توجهه لكل مشرك يعبد من دون الله ما لا يستحق ، وكل ما دون الله تعالى لا يستحق العبادة ، وذلك كالنار والنجوم وبعض الحيوانات ، فهو غير قاصر على عبدة الأصنام فقط .

نعم : " إن الأمثال فى القرآن الكريم لون من ألوان الهداية الإلهية تحض النفوس على البر وتقربها بالهدى والخير وتمنعها من الإثم والسوء أو تدفعها للفضيلة .

لقد أبرزت الأمثال المعقول فى صورة مجسمة وقدمت المعنوى فى ثوب محسوس وفصلت المجمل المهم وأوضحت المبهم "[2] .

والمقصود بالأمر فى قوله : " فاستمعوا له " أى سماع تدبر وتفكر وتأمل حتى يتأتى من السماع الفائدة المرجوة منه .

والمعروف أن المثل يضرب لتقريب البعيد ، حيث يشبه بنظيره ومماثله ، ومن فوائده إيضاح المعانى وإظهارها ، وعرض المعقول فى صورة المحس ، ليكون فى ذلك العظمة والاعتبار .

فالمثل هنا لحال غريبة عجيبة يجب الوقوف عندها والاستماع إليها وأخذ العظة والاعتبار منها.

قوله : " ضرب " بمعنى جعل ، وعبر عن بيان ذلك بلفظ الماضى لتحقيق الوقوع "[3] .

" وفى افتتاح السورة بـ " يا أيها الناس " وتنهيتها بمثل ذلك شبه برد العجز على الصدر ، ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما فى الصدر وما بعده ، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للخطبة والحوصلة للدرس "[4] .

قوله تعالى : " إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له " : " لن " صيغة مترجلة للنفى فى قول سيبويه ، فهى لنفى الفعل فى المستقبل ، وهى فى نفى الاستقبال آكد من " لا "[5].

---

[1] البر المحيط ٦ / ٣٨٩ .

[2] أمثال ونماذج بشرية فى القرآن العظيم ص٦ .

[3] روح المعانى ١٧ / ٢٠٠ .

[4] التحرير والتنوير ١٧ / ٣٠٨ .

[5] البرهان ٤ / ٣٨٧ .

وقد علم أن الذباب – رغم حقارته وضعفه – لم يستطع كائن مهما كان أن يخلقه ولن يستطيع ، فالآية الشريفة تنفى نفياً مؤكداً ، لأن الخلق مناف لصفات المخلوق ، إذ كيف بمخلوق أن يخلق ، والآية بذلك تعرض بالمشركين وعقولهم حيث إنهم لو عقلوا ما عبدوا غير الخالق سبحانه .

وقوله تعالى : " ولو اجتمعوا له " نصب على الحال ، كأنه قال : يستحيل أن يخلقوا الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم "[1] .

وقد فسر الله سبحانه المثل وبينه مؤكداً ذلك فقال : " إن الذين ... " وذلك لتقوية مضمون الكلام ، وتقريره فى نفس المخاطب ، وأيضاً لإظهار غرابة الأمر والتعجب منه .

" وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل ، لأن الذباب يحتوى على ذلك السر المعجز سر الحياة فيستوى فى استحالة خلقه مع الجمل والفيل ، ولكن الأسلوب القرآنى المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقى فى الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل دون أن يخل هذا بالحقيقة فى التعبير ، وهذا من بدائع الأسلوب القرآنى العجيب "[2] .

ويلحظ أن هناك مبالغة فى إظهار ضعفهم وعجزهم وإن شئت فقل هى حقيقة واقعة وصفة العجز فيهم أصيلة حيث عبر عنهم القرآن العظيم بأنهم مع اجتماعهم لا يستطيعون خلق هذه الحشرة الضئيلة .

وفى الآية تشبيه ضمنى حيث شبهت الأصنام وهيئتها فى العجز بهيئة ناس تعذر عليهم خلق أضعف المخلوقات وهو الذباب ، ورمز إلى الهيئة المشبه بها بذكر لوازم أركان التشبيه من قوله : " لن يخلقوا " ، وقوله : " وإن يسلبهم الذباب شيئاً ... إلى آخره " ، ولا جرم حصل تشبيه هيئة الأصنام فى عجزها بما دون هيئة أضعف المخلوقات فكانت تمثيلة مكنية "[3] .

فالجملة : " إن الذين ... " مفسرة للمثل ، وقوله : " من دون الله " حال من اسم الموصول " الذين " ، و " ذباباً " مفعول به .

قوله تعالى : " وإن يسلبهم الذبابُ شيئا لا يستنقذوه منه " : يقول الزمخشرى – رحمه الله : " وهذا من أبلغ ما أنزل الله تعالى فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم ، والشهادة على أن الشيطان قد خذلهم بخزائمه حيث وصفوا بالإلهية التى تقتضى الاقتدار على المقدروات كلها ، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولوا اجتمعوا لذلك وتساندوا ، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء

---

[1] الفخر الرازى ١٢ / ٦٩ .

[2] فى ظلال القرآن ٤ / ٢٤٤٤ .

[3] ينظر التحرير والتنوير ١٧ / ٣٤١ .

قدرتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا "[1] .

وتلحظ فى الآية ترقياً من الأدنى إلى الأعلى فى إظهار بطلان عبادة غير الله تعالى ووسم من يفعل ذلك بفساد العقل وسوء التدبير ، فإن قوله سبحانه : " وإن يسلبهم ... " بيان لعجز الآلهة الباطلة وإظهار ضعفها حتى عن حماية نفسها من تلك الحشرة التافهة الضعيفة ، والذباب اسم جنس ، ويجمع على أذبة وذبان .

قوله : " يستنقذوه " هو من أنقذ زيدت عليه بعض الحروف للمبالغة فى الإنقاذ .

ويأتى ختام الآية الشريفة بقوله تعالى : " ضعف الطالب والمطلوب " : وفى هذا تسوية للضعف بين العابد والمعبود ، لإظهار بطلان تلك العبادة ، وتسفيه أحلام من يتخذ من دون الله أنداداً ، وقيل معناه التعجب ، أى ما أضعف الطالب والمطلوب "[2] .

وفى هذا ما فيه من إظهار عجزهم وعجز من يعبدون من دون الله ، حيث تساوى فى عجزه مع تلك الحشرة الحقيرة التى تعد من أضعف خلق الله تعالى ، حيث تلحظ فى السياق القرآنى التعجب والتهكم من حالهم .

وهكذا ترى أن حديث القرآن العظيم عن الذباب جاء إظهاراً لضعفها وحقارتها وقارنها بالآلهة المعبودة من دون الله تعالى تحقيراً لتلك الآلهة المزعومة وإظهاراً لضعفها وهوانها .

والله أعلم .

---

[1] الكشاف ٤ / ٩٣ .

[2] البحر المحيط ٦ / ٣٩٠ .

المبحث الخامس

النمل

النمل من الحشرات التى ذكرت فى القرآن العظيم ، بل سميت سورة من سور القرآن باسم " النمل " وهى من السور المكية ، وترتيبها فى الوضع المصحفى " السابع والعشرون " من سور القرآن العظيم ، نزلت بعد سورة " الشعراء " ، وقبل سورة " القصص " ، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية .

وقد تحدث القرآن العظيم عن هذه الحشرة الضئيلة فى تلك السورة التى سميت باسمها ، وذلك فى سياق الحديث عن ملك سيدنا سليمان – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – وذكر ما كان من النمل عندما أتى – عليه السلام – مع جنوده إلى واد النمل .

ومملكة " النمل " لها طقوسها الخاصة التى تعد نموذجاً للنظام ، فمن ضمن مكونات هذه المملكة " الجنود " ، و " الملكة " ، و " الأفراد الشغالة " .

" وتتخصص الجنود فى الدفاع عن المستعمرة ، ففى معظم الأحيان يمسك الجندى بفريسته بواسطة الفكوك العليا القوية ... وتوجد الملكة والملك فى خلية ملكية خاصة مختبئة فى تل المستعمرة ، وتلقح الملكة على فترات ، وتنتج الأفراد المجنحة طوال وجود الملكة الأصلية بأعداد كبيرة كل عام ، وتترك هذه الأفراد المستعمرة بالغريزة فى ظروف جوية مناسبة ، ويتم ذلك فى أثناء موسم المطر "[1].

ومن المعروف أن النمل لا يطير ، ولكنه يعتمد على الريح لنقله من مستعمرة إلى أخرى بصورة سريعة .

" هذا وقد وجد أن الملكة تبيض حوالى أربعة آلاف بيضة فى أربع وعشرين ساعة ، ويتكون غذاء النمل من الخشب ومن الأنسجة النباتية ، ويشترك الجنود فى عملية البحث عن الغذاء ، وتحتوى مساكن بعض أنواع النمل على غرف خاصة لتخزين الحبوب والأعشاب الخضراء ، وتحتوى مساكن بعض أنواع النمل على كتل بنية محمرة من الفطريات تجمعها وتبنيها الشغالة فى حجرة خاصة بجوار الحجرة الملكية ، وتستعمل هذه الحجرات لتربية الصغار "[1] .

نعم إنه عالم عجيب يدل على إبداع الخالق سبحانه ، وصدق الله سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[2] .

---

[1] أساسيات علم الحشرات ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

[2] أساسيات علم الحشرات ٢٥٠ ، ٢٥١ .

[3] الأنعام ٣٨ .

فتجد فى مملكة النمل كل فرد له نظامه الخاص ، وواجبه الذى يؤديه ، فالملكة مثلاً متخصصة لوضع البيض ، والشغالة تعمل فى بناء المستعمرات ، وتقوم بالخدمة وتربية الصغار ، والجنود مهمتهم الدفاع عن تلك المملكة .

وربما يعتقد البعض أن النمل لا فائدة منه ، ولكن الأبحاث العلمية وجدت للنمل فوائد منها : " أنها تعمل على تحسين حالة التربة بتفكيك أجزائها ، وبذلك تعمل على تهويتها ، كما أنه تضيف مواد عضوية إليها مما يزيد من خصوبتها ، وتحمل أجزاء نباتية وحيوانية داخل التربة لكى تستخدمها فى غذائها ، وتفتت أجسام الحيوانات والنباتات الميتة وتدفنها ، كما يأكل بعض سكان البلاد المتأخرة النمل حيا"[٣].

وبعد ...

فإن النمل حشرة ضئيلة الحجم ضعيفة البنيان ، لها فوائد وأضرار ، وتعد من مخلوقات الله تعالى التى عنى بها القرآن العظيم حتى نزلت سورة منه باسمها .

والآن أبدأ فى تحليل حديث القرآن الكريم عن " النمل " فأقول وبالله التوفيق وهو المستعان:

قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١] .

النمل خلق من مخلوقات الله تعالى ، وأمة من الأمم لها كيانها من تفاهم ونظام فى المأكل والمشرب والمسكن ، وسميت هذه السورة باسم تلك الحشرة العجيبة ، " وذلك كعادة القرآن فى إطلاق اسم السورة بأندر وأعجب شئ فيها ، ولما كانت سورة النمل قد اشتملت على هذا المشهد العجيب الغريب الذى نعرف منه حالا من أحوال النمل وهو تحدثهم مع بعضهم وتضامنهم وتكاتفهم ، وإسداء النصح منهم فيما بينهم أطلق هذا الاسم عليها "[٢] .

وسياق الآيات الشريفة يوضح عطاء الله تعالى لسيدنا سليمان – عليه السلام – حيث سخر الله له الريح والشياطين والإنس والجن وغير ذلك ، وعلمه منطق الطير ، واستجاب لدعائه عندما قال كما حكاه عنه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[٣] .

---

[١] أساسيات علم الحشرات ٧ .

[٢] النمل ١٧ : ١٩ .

[٣] من أسرار النداء فى القرآن الكريم ٢٨٧ .

[٤] ص ٣٥ .

فآيات النمل جاءت فى سلسلة تلك النعم التى وهبها الله تعالى لنبيه سليمان – عليه السلام – حيث ورث عن أبيه داوود – عليه السلام – النبوة والملك ، وعلم منطق الطير ، ومما ورد عنه فى فهمه منطق الطير أن " سمع صوت الحدأ ، فقال – عليه السلام – الحدأ يقول : كل شئ هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه ، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين ، والنسر يقول : يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت ، والعقاب يقول : فى البعد عن الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان ربى القدوس "[1] .

والآية الأولى من تلك الآيات الثلاث توضح سيطرة نبى الله سليمان – عليه السلام – على ما آتاه الله تعالى من الملك العظيم حيث حشر وحبس أولهم عن آخرهم ظاعنين خاضعين له ، وهم رغم كثرتهم لهم ضابط ورابط ونظام وترتيب .

" واكتفى بذكر الجن والطير لغرابة كونهما من الجنود فلذلك لم يذلك الخيل وهى من الجيش "[2] ، وأما ذكر الإنس فلأنه أساس الجند فهم ينفذون أوامره ويحاربون العدو ، ويحرسون الملك ، " وصنف الطير هو من تمام الجند لتوجيه الأخبار وتلقيها وتوجيه الرسائل على قواده وأمرائه "[3] .

قوله تعالى : " حتى إذا أتوا على واد النمل ... "

حتى غائية مثلها مثل " إلى " ، و " لكن يفترقان فى أن ما بعد " حتى " يدخل فى حكم ما قبلها قطعاً ، كقولك : قام القوم حتى زيد ، فزيد هاهنا دخل فى القيام ، ولا يلزم ذلك فى قام القوم إلى زيد ، وهى للغاية كيف وقعت ، إما فى الشرف كجاء القوم حتى رئيسهم أو الضعة ، نحو أسنت الفصال حتى القرعى "[4] .

و " إذا " ظرف زمان للماضى ، فهى بذلك اسم ، لأن " إذا " إما أن تكون اسما أو حرفا ، فإن وقعت اسما كانت ظرفاً كما هو الحال هنا . فيصير المعنى " صاروا حتى حين وصلوا على واد النمل".

" واد النمل " : " قيل واد بالشام كثير النمل ، وعدى الفعل " أتوا " بعلى ، لأن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء ، ويجوز أن يراد أنهم قطعوا الوادى وبلغوا آخره "[5] .

فقوله " حتى " وإن كانت غائية إلا أنها أفادت ابتداء كلام جديد . قوله تعالى : " قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم " .

---

[1] الكشاف ٣ / ٣٥٤ .
[2] التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٠ .
[3] التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٠ .
[4] البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٧٢ .
[5] الكشاف ٣ / ٣٥٥ .

والنملة كانت أنثى بدليل دخول تاء التأنيث فى الفعلة " قالت " ، وقد ذكر " الفيروزابادى " أن التاء دخلت فيه للفرق لا دالة على التأنيث الحقيقى ، بل دالة على الواحد من هنا الجنس[1] .

وهذا مخالف لما ذكره " الزمخشرى " فى الكشاف عن أبى حنيفة ، والنحاة مع ما ذكر فى البحر المحيط .

وهذه النملة كانت لها صفة الإشراف على بقية النمل ، وتنظيمه فهى قائدة فيهم وزعيمة لهم .

" وقد روى أن سليمان – عليه السلام – لما سمع قول النملة قال : ائتونى بها فأتوه بها ، فقال لها : لما حذرت النمل من ظلمى أما علمت أنى نبى عدل ، فلم قلت : " لا يحطمنكم سليمان وجنوده " ، فقالت النملة : أما سمعت قولى : " وهم لا يشعرون " ، ومع ذلك أنى لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب ، خشيت أن يروا ما أنعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا فى كفران النعم فلا أقل من أن يشتغلوا بالنظر إليك عن التسبيح "[2] .

فهذه النملة عندما أحست بالخطر تجاه قومها ، حذرت بقية إخوانها وكانت منصفة فى قولها : " وهم لا يشعرون " لأن التحطيم لو حصل سيكون بلا قصد منهم ، وهذه دقة فى التعبير .

والأمر فى " ادخلوا " مراد به التحذير والتخويف ، وفيه أيضاً معنى النصح والإرشاد .

قوله تعالى : " لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ... " .

" لا يحطمنكم " : " يحتمل أن يكون جواباً للأمر ، وأن يكون بدلاً من الأمر ، والذى جوز أن يكون بدلا منه : أنه فى معنى : لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم ، على طريقة : لا أرينك ههنا ، أراد : لا يحطمنكم جنود سليمان ، فجاء بما هو أبلغ "[3] .

فالنملة تنصح قومها وترشدهم إلى ضرورة الوقاية والاحتراز مما عرفت أنه خطر عليهم ، وانظر كيف ترشدهم هذه الحشرة الصغيرة إلى ما يجب على القائد من خوف على من يتبعه ، والبعد به عن مواطن الهلاك .

---

[1] ينظر البحر المحيط ٧ / ٥٩ ، وينظر ما قاله ابن الحاجب فى إيضاح المفصل ، وابن المنير فى الانتصاف ، حيث أكدا أن التاء للوحدة وليست للتأنيث .

[2] حاشية شيخ زادة ٤ / ٤٨٨ .

[3] الكشاف ٣ / ٣٥٦ .

فالجملة إما استئناف كلام جديد لإظهار فائدة الدخول فى المساكن ، ويجوز كونها بدلاً من قوله : " ادخلوا مساكنكم " وهو هنا بدل اشتمال ، أو بدل كل من كل ، لأن معناهما واحد ، وقوله : " وهم لا يشعرون " حال .

وقد أثبت العلم الحديث أن النمل عندما يداس بالأقدام يكسر كسرا اى يحطم تحطيماً ، وفى هذا ما فيه من دقة التعبير القرآنى .

" والضمير فى " ادخلوا " ضمير جمع من يعقل وكذلك ضمير الخطاب فى " مساكنكم " لما كان النمل قابلاً لفعل ما أمروا به نزلوا منزلة جمع من يعقل "[1] .

وإعراب هذه الجملة : أن " لا " ناهية ويحطنكم فعل مضارع مبنى على الفتح فى محل جزم بلا ، والكاف مفعول به ، وسليمان فاعل ، وجنوده عطف على سليمان ، والواو فى " وهم لا يشعرون " حالية والجملة من المبتدأ والخبر حال .

وإذا نظرت إلى حديث النملة وجدت عجباً ، فبجانب ما سبق ذكره من إرشاد قومها وتحذيرهم والخوف عليهم حيث قامت بما يجب على القائد أن يفعله تجاه من يقوده ، تجد النداء بيا وهى وإن كانت لنداء البعيد إلا أنه ينادى بها الغافل الساهى " وقد ينادى بها القريب الذى ليس بساه ولا غافل ، إذا كان الخطاب المرتب على النداء فى محل الاعتناء بشأن المنادى "[1] كما هو الحال فى نداء النملة .

ثم تجد " ها " التنبيه " ، وتجد الأمر " ادخلوا " ، والنهى " لا يحطمنكم " ، ثم التمست العذر لسليمان – عليه السلام – وجنوده فقالت : " وهم لا يشعرون " ، بمعنى أنهم لو شعروا لم يفعلوا .

قوله تعالى : " فتبسم ضاحكاً من قولها " .

لما سمع نبى الله سليمان – عليه السلام – قول النملة تبسم إعجابا بالنمل وسروراً بما آتاه الله تعالى من الملك .

وقوله : " ضاحكاً " حال مؤكدة .

" ولما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزئ وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح أتى بقوله " ضاحكاً "[3] .

---

(1) البحر المحيط ٧ / ٥٩ .

(2) البرهان ٤ / ٤٤٥ .

(3) البحر المحيط ٧ / ٦٢ .

قوله تعالى : " قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والـــدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين " .

فهذا توجه من نبى الله سليمان – عليه السلام – إلى ربه بهذا الدعاء حيث عرف النعمة فشكرها وتوجه إلى ربه أن يجعله شاكراً لهذه النعم ، وأن يتم عليه هذه النعم فى الدنيا ويجعله من أهل الجنة فى الآخرة . فقد جمع فى دعائه بين خيرى الدنيا والآخرة .

وقوله : " ترضاه " صفة للعمل الصالح أى : يكون موضع رضاك .

" فهو يعلم أن الدخول فى عباد الله الصالحين ، رحمة من الله ، تتدارك العبد فتوفقـــه إلى العمل الصالح ، فيسلك فى عداد الصالحين[1] .

وقد أدخل الوالدين فى الدعاء لأنهما أحق بالبر من غيرهمـــا ، تقـــديراً لهمـــا وإعظامـــا لحقهما .

وهكذا ترى هذه الحشرة الصغيرة ترسى مبادئ وقيم يجب على القائد الاسترشاد بهـــا ، والمتأمل فى حديثها يرى عجباً ، وتعد هذه القصة من أروع ما ساقها القرآن العظيم من قصص ، نجد فيها العبرة والعظة والإرشاد – رغم قلة ألفاظها – ولهذا سميت هذه السورة بهذا الاسم .

والله أعلم

---

[1] فى ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذى أتم نعمه على الإنسان ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين رسول الله محمد بن عبد اللاه وعلى آله وصحبه وأتباعه وأزواجه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

وبعد ....

فإن حديث القرآن العظيم عن الحشرات جاء مطابقاً للسياق ومقتضيات الأحوال ، وتشعر فيه بجودة السبك وإحكام النظم وشدة الترابط ، وحسن فى الألفاظ ، وروعة فى المعانى ، مما أضاف إليه رونقاً وبهاء وزاده حسنا وجمالاً .

فتجد الحديث عن البعوض جاء متجانساً مع السياق العام للآيات حيث أنكر الجاحدون أن يضرب الله عز وجل المثل بالعنكبوت والذباب وغيرها فساق إليهم الحق سبحانه ما معناه أن الله عز وجل خالق جميع الكائنات ويضرب المثل بما شاء حيث شاء فهو سبحانه يضرب المثل بما هو أقل من العنكبوت – ولو فى نظرهم – وهو البعوض ، ومع ذلك أثبت العلم الحديث ما تشتمل عليه تلك الحشرة من مكونات ، وطبقاً لعلمهم كلما دقت الصنعة احتاجت إلى مهارة أكثر .

ولما كان الجراد والقمل من الحشرات المهلكة للزرع ، الضارة بالإنسان جاء السياق القرآن ليدلل أنها من المصائب التى أرسلها الله تعالى بلاء وغضبا على آل فرعون لكفرهم وعنادهم ، فكان الجزاء من جنس العمل .

ويأتى الحديث عن النحل وحيث إنها حشرة مفيدة جعل الله تعالى شرابها شفاء ، وكرمها بتسمية السورة باسمها ، ولها بجانب ذلك فوائد عظيمة حيث كان أهم شئ فى النحل هو فائدتها جاء حديث القرآن العظيم مركزاً على ذلك .

وأما حديث القرآن العظيم عن الذباب وهى حشرة مذمومة حقيرة مبغوضة فجاء ذماً لمعتقدات المشركين حيث عبدوا من دون الله ما لا يستحق العبادة ، وما لا يملك من أمر نفسه شيئاً بحيث لو سلبته هذه الحشرة الذميمة شيئاً لا يستطيع إنقاذ نفسه منها ، هذا فضلا عن كونه – أى المعبود من دون الله – لا يستطيع خلق تلك الحشرة المذمومة فكيف بمن لا يخلق أن يعبد من دون الله الخالق العظيم .

ولما كان " النمل " نموذجاً " يحتذى به فى النظام ، ووقف العلماء والباحثين طويلاً أمام مساكن النمل المصنوعة بنظام محكم دقيق ربما يعجز البشر عن مثله ، جاء حديث القرآن العظيم عن النمل من هذا الجانب " جانب النظام " حيث يشير إلى القيادة وما يجب أن تكون عليه من توجيه وإرشاد للاتباع وأشار إلى المساكن وكأنها مساكن مقامة بنظام هندسى كالقصور المشيدة فى حياة البشر ، كذلك ، أشار القرآن العظيم إلى فطنة النمل ودقة التعبير فى حديثها كما سبق شرحه .

وهكذا ترى أن حديث القرآن العظيم عن الحشرات كان متوافقاً مع السياق العام ومتقضيات الأحوال وتلك هى البلاغة فى أرفع درجاتها . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1] .

والله أعلم

دكتور / محمد محمد الطاهر

---

[1] النساء ٨٢ .

المصادر والمراجع

١ – أساسيات علم الحشرات – د / حلمى مليكة ط / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٦م .

٢ – إعراب القرآن وبيانه أ / محيى الدين الدرويش – ط / اليمامة دمشق – بيروت – دار ابن كثير دمشق بيروت – الطبعة الرابعة – ١٤١٥هـ ١٩٩٤ .

٣ – أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم – أحمد بن محمد طاحون – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ ١٩٩٠م ط / المملكة العربية السعودية .

٤ – البحر المحيط – لأبى حيان الأندلسى الغرناطى – الطبعة الثانية – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ط / دار الفكر والنشر والتوزيع بيروت .

٥ – البرهان فى علوم القرآن – للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط / دار الجيل بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٦ – التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – للشيخ منصور على ناصف – ط / جريدة صوت الأزهر – دار السعادة للطباعة بمصر .

٧ – التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – ط / الدار التونسية للنشر .

٨ – تفسير الشيخ الشعراوى – ط / أخبار اليوم بمصر .

٩ – التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – للإمام الفخر الرازى – ط / دار الفكر للطباعة والنشر – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

١٠ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم – للشيخ محمد سيد طنطاوى – مطبعة السعادة – الطبعة الرابعة – ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

١١ – حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى – ط / دار صادر – بيروت .

١٢ – الحشرات المنزلية – د / إبراهيم على حسن جعبوب – ط / دار المطبوعات الجديدة .

١٣ – روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – للإمام محمد الألوسى البغدادى – ط / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤ – علم الأحياء – د / أمين عرفان دويدار – ط ١٩٩٠م / ١٤١١هـ – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

١٥ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل – للإمام أبى القاسم جاد الله محمد بن عمر الزمخشرى الخوارزمى – / دار الريان للتراث – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧.

١٦ – محاضرات فى أساسيات علم الحشرات – جامعة القاهرة – كلية الزراعة – قسم الحشرات الاقتصادية والمبيدات .

١٧ – مقدمة فى علم الحشرات – جامعة جنوب الوادى – قسم علم الحيوان .

١٨ – من أسرار التوكيد فى نظم القرآن الكريم – د / محمد عبد العظيم عبد الله صفا – ط/ دار الكتب الجامعى بمصر – ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

١٩ – من أسرار النداء فى القرآن الكريم – د/ بغدادى إبراهيم الصحابى – ط / مركز الإنتاج والتدريب الصناعى ١٩٩٧م .

٢٠ – فى ظلال القرآن – الشيخ سيد قطب ط / دار الشروق – الطبعة السابعة عشرة – ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .